عظمة الرب جل جلاله

ألقيت في جامع (حمراء الأسد) بالمدينة النبوية.

بتاريخ ٩/ ٦/ ١٤٤٢ - عبد الله بن عبد الرحمن الرحيلي

الحمدُ للهِ المحمود في جميع الأحوال ، الموصوف بصفات الكمال والجمال والجلال، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نِدَّ ولا مِثال، شهادة أرجو بها النجاة يوم الأهوال.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله كريم الأخْلاق وطَيّب الخصال، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى جميع الصحب والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

أما بعد أيها المسلمون: اتقوا الله الذي خلقكم، واستعينوا على طاعته بما رزقكم، وعظموه وكبروه كما أمركم، واعلموا أن حاجتكم إلى معرفته وعبادته أشد من حاجتكم إلى الطعام والشراب والنَّفَس، فبمعرفته تعالى تحصل سعادتكم، وتعظم عند الله منزلتكم؛ فالله يُنزِل العبدَ من نفسه حيثُ يُنزِلُه العبدُ من نفسه.

تأملوا أيها المؤمنون معالم عظمته وقدرته، وتدبروا معاني أسمائه وصفاته، فربُّكم له من صفاتِ الكمال والجلالِ ما يفوق الوصفَ والخيال، له الكمالُ المُطلقُ في كل شيء؛ كان نبينا - صلى الله عليه وسلم – يقول معظما ربه في دعائه: «لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك» ويقول منزها ربه في رُكوعه: «سبحان ذي الجبروت والملَكوت والكبرياء والعَظَمة»

إنه الله تعالى العليُّ الكبيرُ، الوليُّ الحميدُ، العزيزُ المجيدُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيدِهِ النفعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ لهُ في صفاتِهِ شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا له في إلهيته شريكٌ ولا ظهيرٌ، ولا له في سلطانهِ وليٌّ ولا نصيرٌ.

إنه الله الذي سبّحت له الأفلاك، وخضعت له الأملاك، يشكُر القليلَ من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلَل ويمحوه.

أحقّ من ذُكر، وأحق من شُكر، وأحقّ من عُبد، وأنصرُ من ابتُغِي، وأرأَف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استُرحِم، وأكرم من قصِد، وأعزّ من الُتجئ إليه، وأكفَى من تُوكِّل عليه.

فسبحانَ الله وبحمده، هو الملك لا شريكَ له، والفرد لا ندَّ له، والغنيُّ لا ظهيرَ له، والصمدُ لا ولدَ له، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ .

لن يطاعَ إلا بإذنِه، ولن يعصَى إلا بعلمِه، يطاع فيشكر، ويُعصى فيعفو ويغفِر؛ أقربُ شهيد وأجلّ حفيظ وأوفى بالعهد وأعدلُ قائمٍ بالقِسط، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال؛ القلوب له مفضية، والسِّرّ عنده علانية.

إنه الله الذي عنتِ الوجوه لنور وجهه، وعجزتِ العقول عن إدراكِ كُنهِه، أشرقَت لنور وجههِ الظلمات، واستنارت له الأرضُ والسماوات، وصلَحَت عليه جميع المخلوقات.

أزمَّة الأمور كلّها بيده، ومَرادُّها إليه، مستَوٍ على سريرِ مُلكِه، لا تخفى عليه خافيةٌ في أقطار مملكتِه، تصعَد إليه شؤون العباد وحاجاتهم وأعمالهم، فيأمر سبحانه بما شاء، فينفُذُ أمره، ويغلب قهره.

إنه الله تعالى الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً، وسعَ سَمْعُهُ الأصوات،

يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ عَلَى

تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، وَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ}: يغفرُ ذنبًا، ويفرّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبَّارًا، ويقيل عثرَةً، ويسترُ عورةً، ويُؤَمِّن روعةً.

يدبّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلقُ ويرزقُ، ويميتُ ويُحْيي، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويُدَاوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

يُنعم على قوم ويَسلب نعمتَه عن آخرين، ويعزّ أقوامًا ويذلّ آخرين، هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

إنه الله الذي له القدرةُ المطلقَة والإرادَة التامّة، كلَّم موسى تَكليمًا، وتجلَّى للجبل فجعله دكًّا هشيمًا.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلقَ الخلقَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينِهِ.

أبوابُ عطائه فتحَها لخلقه فسخَّر بحارًا وأجرى أنهارًا وأدرَّ أرزاقًا، ساق للخلق أرزاقهم؛ فرزَقَ النملة في قرار الأرض،

والطيرَ في الهواء، والحيتان في الماء، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

كريمٌ يحبُّ العطاء والكرم، إذا سُئِل أعطى، وإذا رُفِعت إلى غيره حاجة لا يرضى.

غنيٌّ عن جميع خلقه، وكل شيءٍ مُفتقِرٌ إليه.

الكرسيُّ موضع قدمَيْه - سبحانه -، وقد وسِعَ الكرسيُّ السماوات والأرض، والسماوات السبع في الكرسي كدراهم سبعةٍ أُلقِيَت في تُرسٍ، والكرسيُّ في العرش كحلقةٍ من حديدٍ أُلقِيت بين ظهرَيْ فلاةٍ من الأرض، وعرشُه أعظم مخلوقاته، وتحت العرش بحرٌ ويحملُ العرشَ ملائكةٌ ما بين شحمة أُذن أحدهم إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عامٍ.

إنه الله الذي استوى على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مُستغنٍ عن العرش وما دونه، مُحيطٌ بكل شيء، ولا يُحيطُ به شيءٌ، ويُدرِكُ الأبصارَ والأبصارُ لا تُدرِكُه.

الأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينِهِ، يقبضُ سمواتِهِ كلَّها بيدِهِ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنا الملكُ، أين الجبارون أين المتكبرون.

إنه الله الذي بدأ الدنيا ولم تكنْ شيئًا، وهو الذي يعيدُها كما بَدَأها.

قيُّومٌ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، « حِجابُه النور، لو كشفَه لأحرَقَت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه».

إنه الله تعالى الذي يقول في الحديث القدسي: " يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ".

هذه ـ عباد الله ـ بعض عظمته سبحانه مما تتحمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل، فالله - سبحانه - فوق ما يصِفُه الواصِفون.

قال مالك بن دينار رحمه الله : "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قيل له وما أطيب ما فيها ، قال ، معرفة الله عز وجل ومحبته"

اللهم اجعلنا من عبادك العالمين بك، المعظمين لك، الممتثلين أمرك والمجتنبين نهيك، واغفر لنا ذنوبنا وتب علينا إنك أنت الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الكريم المنان، امتن على المؤمنين فبذل لهم الإحسان، وزين في قلوبهم الإيمان، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

إن تعظيم الله عز وجل عبادة قلبية عظيمة، ومنزلة عالية جليلة، إذا وقر في قلب المسلم تعظيم الله ظهرت آثاره على جوارحه استسلاما لقضاء الله، وانقيادا لأوامر الله، إن المعظم لله حقا يعظم شرعه ودينه الحنيف؛ فلا يصادم الوحي بعقله الضعيف.

إذا عرف العبد ربه اطمأنت إليه نفسه وسكن إليه قلبه وكان توكله عليه أقوى.

المعظم لله تعالى يعظم كلامه ويكثر من تلاوته آناء الليل وأطراف النهار .

المعظم لله تعالى يعبده وحده مخلصا له الدين، و لا يجعل دونه سببا من المخلوقين.

من تعظيم الله تعظيم حرماته، والتفكرُ في ملكوته وآياته: (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ)

ولأجل شهود صفات عظمته سبحانه وجلت قلوب المؤمنين لمجرد ذكره في نفوسهم؛ (إنما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)

ولأجل شهود صفات عظمته سبحانه قام نبيكم صلى الله عليه وسلم من الليل على قدمه حتى تفطر ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

عباد الله.. لو تمكّن وقارُ الله في قلبِ العبد لما تجرّأ على معاصيه أبدًا.

والمتجرئ على معصية الله ما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق تعظيمه، وكفى من عقوبات الذنوبِ أن تضعِف هذا التعظيم في القلب حتى يستمرِئ المخذول المعاصيَ، فيهون على الله، فيرفع الله مهابتَه من قلوب الخلق، ويستخفُّون به كما استخفَّ بأمر الله، وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ .

فعظموا ربكم أيها المؤمنون، وتوبوا إليه لعلكم ترحمون.

سئل بعض السلف: ما أعجبُ الأشياء؟ فقال: قلب عرف الله ثم عصاه.

اللهم إنا أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، ونسألك القصد في الفقر والغنى ، ونسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ونسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة .